# شخصية الزهاوى

## بمناسبة مرور عام على وفاته

بقلم السيد احمد المغربى

بقية ما نشر فى العدد الماضى

### الزهاوى والمرأة

الحديث عن المرأة ، مهما اختلفت نواحيه وتباينت مناحيه حديث لذيذ يسترعى الأسماع ، ويستلفت الأنظار ، ويستهوى الأفئدة ، وهو حديث ، لا نكون بعيدين عن الصواب اذا ما قررنا بأنه يلذ للمرأة أكثر مما يلذ للرجل ، ولا سيما اذا كان صادراً عن الرجل نفسه ، فهى تتلهف شوقاً إلى الاطلاع على ما يضمره لها فؤاده وما يكنه ضميره ، وهى تبذل ما ملكت يمينها وما لا تملكه يمينها لاستماع حديثه عنها ، سواء أكان هذا الحديث مدحاً أم قدحاً ، ثناء أم ذماً ؛ بل ربما كانت إلى استماع حديث الذم والقدح أشد شوقاً وأقوى رغبة منها إلى حديث الثناء والمدح !

ذلك لأن المرأة كانت ولا تزال ، وستبقى ما بقيت المرأة ، سراً غامضاً كلما خيل للرجل أنه توصل إلى سبر غوره ، واجتلاء حقيقته ، أسلمه هذا السر إلى سر آخر ، وهكذا حتى يقف مكتوف اليدين ، مطأطىء الرأس معترفاً بعجزه مقراً بضعفه .

من أجل هذا كان التضارب بين آراء الفلاسفة ، والأدباء والشعراء ، كل يصفها كما عرفها بنفسه ؛ ففريق يقول بأنها ملاك تذيع السلام وتنشر الوئام ، وفريق آخر يقول بأنها شيطان تسبب الأحزان والأسقام ، وتثير الأضغان والخصام ، فينهض الفريق الثالث ، فيعارض الاثنين بقوله ، إنها بين بين ! .

ولقد كان فقيدنا الكبير يعتقد بسمو منزلة المرأة ويؤمن باخلاصها إخلاصا تاماً يحملك على الايمان بالسعادة الزوجية التى كانت تهيمن فى جو بيته ، حتى انه ليؤثر أن يبقى بدون ذرية على أن يجرح عاطفة زوجه بالبناء على غيرها .

والمرأة فى اعتقاده ، لا تقل عن الرجل ذكاء وفهماً وإدراكا ، فهى أهل للحفاوة والتكريم ، جديرة بالاحترام والتعظيم .

وهى تحلو بابتسامها الحلو وحديثها العذب ، الكآبة والملل عن نفس الرجل ، وتخفف عنه آلام الحياة ومتاعبها ، وتبث فيه روح الجرأة والاقدام ، فيقتحم فى سبيلها الأهوال ، ويستقبل الارزاء بوجه باسم ونفس مطمئنة .

ويمثل لك الزهاوى مدى وفاء المرأة فى فتاة شاهدها بين أهل الجحيم قد اخضلت عيناها من شدة الأسى ولوعة الجفاء ومرارة النوى ، بشعر هو السحر الحلال : —

قلت ماذا يبكى الجميلة قالت ... أنا لا يبكينى اللظى والسعير
انما يبكينى فراق حبيبى ... وفراق الحبيب خطب كبير
هو عنى ناء كما أنا عنه ... فكلانا عمن أحب شطير
فرقوا بيننا فما أن أرى اليو ... م سميراً ولا يرانى سمير
ولو أنا كنا جميعاً لخف الخطـــب فى قربه وهان العسير
لا ابالى ناراً وعندى حبيبى ... كل خطب دون الفراق يسير

ولقد وقف الزهاوى حياته على الدفاع عن حقوق المرأة — المشروعة والذود عن كرامتها الضائعة ، وكان يقصد من مناصرته المرأة ، المرأة المسلمة ، فصور لنا ما تلاقيه من ضروب الذل والهوان ، فى بيت أهلها الذى وصفه بالسجن والقبر محرومة من رؤية النور ، وبين لنا ما للحجاب من مساوىء فادحة وأضرار بالغة حالت دون تقدم الشرق العربى ودعا إلى السفور حتى يتاح للمرأة أن تعاضد الرجل فى تحقيق الأمانى والآمال التى تختلج فى نفسه .

قال هل فى السفور نفع يرجى ... قلت خير من الحجاب السفور
انما فى الحجاب شل لشعب ... وخفاء وفى السفور ظهور
كيف يسمو إلى الحضارة شعب ... منه نصف عن نصفه مستور
ليس يأتى شعب جلائل ما لم ... تتقدم إناثه والذكور

* * *

قد عزمتم إلى السفور غروراً ... طائشاً قد يفضى إلى الهفوات
هل يحول الحجاب بين التى لم ... تتثقف والطيش فى الرغبات
بل أرى فى الحجاب تسهيل ما تخـــشونه من نكر على الفتيات

وقد تحمل الزهاوى ، فى سبيل المرأة الأذى والهوان ، وعرض حياته لخطر الاغتيال ، وذلك أن قصائده أثارت عاصفة

من الاستياء الشديد فى العالم الاسلامى ، فهاج الناس لها فى بغداد واتهموه بتحامله على الشريعة الاسلامية الغراء وطلبوا من والى بغداد ، ناظم باشا فى عام ١٣٢٦ هـ أن يقيله من منصبه ، وازدادت نقمة الناس عليه حتى اضطر الى ملازمة داره . . .

### الزهاوى الوطنى

لئن عُدَّ احمد شوقى شاعر الإسلام فإن الزهاوى كان ، بلا جدال ، شاعر العرب . فهو ينزع فى شعره نزعة عربية ، فيفتخر بنى قومه العرب ويتغنى بذكرهم ، ويشيد بمحاسنهم

وهو يدعو إلى نبذ التعصب الدينى فهو مدعاة إلى التفرقة ، والتفرقة تستتبع الضعف ، وهذا العصرُ هو عصرُ القوة ، هو عصرُ التنازعِ على البقاء ؛ الضعيفُ فيه مقضىٌّ عليه بالموت

أصلُ العروبةِ قد رسا ... كالطودِ فى البلد الحرام
والفرعُ منها فى العرا ... ق ومصرَ يسمو والشآم
بغدادُ منذ تأسست ... عُرِفَتْ بعاصمة السلام
عاش النصارى واليهو ... دُ ومسلموها فى وئام
فى وَحْدَةٍ عربيةٍ ... ليست تُهَدَّدُ بانفصام
تبنى سعادتها الشعو ... بُ على اتحاد وانضمام
لا خيرَ فى شعب يعيش من التعاسةِ فى انقسام

* * *

كونوا جميعاً سادةً لنفوسكم ... فالعصرُ هذا سيدُ الأعصارِ
أما تهاونكم فيجرح أمرُه ... فى القبرِ عزةَ يعربٍ ونزارِ
ليس الحياةُ سوى نزاعٍ دائمٍ ... يا للضعيفِ به من الجبار
الفوزُ للجَلَدِ الجرىء فؤادُه ... والويلُ كل الويلِ للخوّار

ولقد رافق الزهاوى سيرَ القضيةِ العربية فى جميع أدوارها وجاهد فى سبيلها جهاد الأبطالِ البواسل ، وكان فى هذا الجهادِ يحذرُ العربَ من عاقبةِ التهاون والتكاسل ، ويبث فى نفوسهم روحَ الجرأةِ والإقدام ، ليعيدوا مجدَ أجدادِهم شمِ الأنوف ، أباةِ الضيم : —

والدهر للرجل القوى ... على صلابته ظهيرُ
والدهر يخذل من ينى ... والدهر يصفع من يخورُ

* * *

إن هدَّمَ العزبى حوضَ حدوده ... سخطت عليه يعربٌ و نزارُ
لا يرفع الوطنَ العزيزَ سوى امرىء ... حرٍ على الوطن العزيز يغارُ

* * *

لقد صح أن الضعف ذل لأهله ... وأن على الأرض القوىَّ المسيطرُ
وأن اقتحامَ الهولِ أقصر مسلكٍ ... إلى المجدِ إلا أنه متوعرُ

* * *

يا قوم إن أذعتم ... للذل أغضبتم نزارا
أنتم أحق الناس إن ... ترعوا لأنفسكم ذمارا
هل تقبلون لنفسكم ... عاراً وللأعقاب عارا

والاستقلال ، فى نظر الزهاوى ، يؤخذ بالقوة ، ولا يعطى .. فعلى العرب ، إذن ، أن يريقوا دماءهم الزكية ويتقدموا للموت بقلوب لا تهاب الموت ، أما اعتمادهم على الوعود والعهود فلن يحقق لهم استقلالهم المنشود !

ذكت دماء لأجل الحق سائبة ... فإنها وحدها للمجد أثمان
وكل شعب على الأوعاد معتمد ... فحظه فى عراك الدهر خذلان
إن لم تكن قوة للمرء بالغة ... فكل حق به قد لاذَ بُطلانُ

وهو يدعو الأمة العربية إلى خدمة العلم ، إلى رمز الحرية والاستقلال ، فهو السياج الوحيد الذى يدرأ عنها الأخطار

وعلى الجند إنه ... كسياج يقى الحرم
وبه يُستقلُ بالرغم ... من عصبة الأمم
لا يجوسُ العدوُ مملكةً ... جيشها انتظم

نم قرير العين ، ياجيل ، فان فى بلادك نفوساً أبية ، وأنوفاً شماء ، تكره الذل وتأبى الاضطهاد ! .

نم هادىء البال ، ياجيل ، فان الشباب . يتقد حماساً . وانه فى حماسه ليغلى ، ليثور ثورة البراكين . . . انظره . . . ها هو ذا قد أجاب داعى الوطن . اسمعه . ها هو ذا قد أصاخ لصوت الله . ان المدرسة ومتاعب المدرسة لم تثنه عن خدمة علمه المفدى . أتعلم أين هم الآن . انهم يتدربون . انهم يحملون البنادق .

نم قرير العين ، ياجيل ، فان فى البلاد مليكا ، هو رمز الشباب وأمل الشباب ، إنه غازى ، غازى القلوب ، ابن فيصل ، ابن الحسين ! .

أحمد المغربى